الفصل السابع

الطفولة المبكرة

(من بداية الثالثة حتى نهاية الخامسة)

obeikandl.com

الطفولة المبكرة

(من بداية الثالثة حتى نهاية الخامسة)

(الطفل في مرحلة ما قبل المدرسة الابتدائية)
(مرحلة الحضانة)

تنتهي مرحلة المهد بنهاية السنة الثالثة ، تبدأ بعدها مرحلة جديدة من حياة الطفل تقابل في الميدان التعليمي مرحلة الحضانة ، ولا يكاد الطفل يدخل السنة الثالثة من عمره إلا وتكون قد اكتملت لديه قدرات جسمية وعقلية جديدة تكون بمثابة الإمكانيات التي يستغلها في نموه المقبل حيث تمكنه من الاستقلال عن الآم والكشف عن البيئة المحيطة به ، ونتعرض لمختلف نواحي النمو في هذه المرحلة مع ملاحظة أن الصفات التي تميز هذه المرحلة وغيرها من المراحل أنما تنصب علي المتوسط العام لأطفال هذه المرحلة.

النمو الجسمي:

لا يزال النمو في هذه المرحلة سريعا وإن كانت سرعته أقل مما كانت عليه في السنتين الأوليين ، ويختلف أطفال الحضانة الذين هم في سن واحدة فيما بينهم من حيث الطول والوزن وتتسع الفروق الفردية بينهم في هاتين الناحيتين ، ولتحديد الطول المناسب لطفل معين يجب ألا نقارن هذا الطول بجداول متوسطات الطول فقط ، بل يجب أن ندخل في حسابنا عدة عوامل منها بنية الجسم والأغذية والأمراض التي تعرض

لهـا ، وقـد يكـون للمـرض الجسـمي مضـاعفات نفسـية كالطفـل المـدلل الـذي لـم يتعـود العزلـة وبسـبب المـرض فإنـه قـد يعـاني ألوانـا مـن القلـق الـذي يزيد من مشكلات تكيفه بعد ذلك .

النمو الحركي :

ابتـداء مـن العـام الثالـث تـزداد قـدرة الطفـل علـي الـتحكم فـي أطرافـه وضـبط عضـلاته تـدريجيا ، وتمتـاز حركاتـه باشـدة والتنـوع وسـرعة الاسـتجابة ، والطفـل فـي هـذه المرحلـة يجيـد القيـام بـألوان مـن النشـاط العضـلي فهـو يجيـد الحركـات الكبيـرة كـالجري والقفـز وركـوب الدراجـة ذات الـثلاث عجـلات ، واقسـي عقـاب بالنسـبة لطفـل هـذه المرحلـة هـو حرمانه من النشاط والحركة .

أمـا الحركـات الدقيقـة كالأشـغال اليدويـة والأعمـال التـي تحتـاج إلـي مهـارة يدويـة ودقـة مثـل الكتابـة والرسـم فإنهـا تظهـر متـأخرة وبـبطء وقـد تظهـر لـدى طفـل الخامسـة القـدرة علـي كتابـة اسـمه وقـد يكتبـه بالطريقـة الكليـة رسـما بـدون دقـة أو عنايـة بتفاصـيل كمـا تكـون سـرعة الكتابـة بطيئـة إذ أن قـدرة الطفـل علـي اسـتخدام العضـلات التفصـيلية لـم تكتمـل بعـد ويـؤثر نقـص القـدرة العضـلية فـي النمـو الحركـي فمـن الثابـت أن المتـأخرين عقليـاً يعـانون نقصـا فـي قـدراتهم الحركيـة بعكـس الموهـوبين الـذين يظهـرون تقدما عاما في نموهم الحركي .

وتلعب البيئـة دورا هامـا فـي تنميـة النمـو الحركـي فيبـدو أثرهـا واضـحا فـي تشـجيع الطفـل علـي القيـام بـألوان مختلفـة مـن النشـاط وفـي إثـارة الـدوافع التـي تـدفعهم إلـي الحركـة وذلـك عـن طريـق اشـتراكهم فـي الكثيـر مـن ألـوان النشـاط

المدرسي المتنوعة مثل [النشاط الرياضي – العلمي – الموسيقي – الفني – المجالي – الثقافي – الإذاعي – الصحافة – وغيرها من ألوان الأنشطة].

النمو الاجتماعي :

اتخذت دراسات الطفولة في السنوات الأخيرة اتجاهاً جديداً فنظرت إلي الطفل علي أن له وجوداً اجتماعياً مثل وجوده الجسمي والعقلي ، فالطفل كائن حي يحيا في مجتمع يتفاعل معه يؤثر فيه ويتأثر به، وقد اهتم علماء النفس والتربية والاجتماع بهذا الاتجاه الجديد يعد أن تبين لهم من الدراسات المختلفة أن دعامات الشخصية يتم وضعها في السنوات الأولي من حياة الطفل وأن هذه الدعامات تقوم علي فكرة التفاعل الاجتماعي بين الطفل وأقرانه في هذه السن.

وإذا تتبعنا النمو الاجتماعي للطفل في السنوات الخمس الأولي من حياته نجد أنه يظهر الرضا عندما يكون مع أفراد آخرين ، كما يبكي إذا ترك وحيدا وهذه هي المرحلة الأولي للسلوك الاجتماعي عند الطفل فيظهر علامات

الارتياح إذا ابتسمت الأم أو المربية في وجهه ، كما يكتشف أن الصراخ الذي يقوم به يجذب إليه انتباه الآخرين ، ومن ثم فإنه يستعمله كوسيلة لغاية وهي استدعاء الآخرين لقضاء حاجته ، ولكون هذه الروابط الاجتماعية الأولي للطفل تتم في المنزل فإن جماعة المنزل تلعب دورا هاما في تحديد اتجاهات الطفل وسلوكه في المواقف الاجتماعية المختلفة ، فجماعة المنزل تغرس في نفسه فكرة الانتماء إلي الجماعة وإنه مرغوب من أفراد الجماعة ، فيسهل عليه بعد ذلك أن تنمو عنده فكرة الانتماء إلي جماعات أخرى من أقربائه ورفاقه في اللعب وجيرانه .

والطفل في السنتين الأوليين من حياته كائن غير اجتماعي يميل إلي اللعب الانفرادي وهو لا يمانع أن يلعب مع الآخرين علي أن يكون لكل طفل لعبه ولكنه لا يشترك اشتراكا فعليا معهم ، وعندما يكبر يتسع نطاق نموه الاجتماعي فيشمل أفرادا آخرين خارج المنزل ، وقد لوحظ أن الطفل الذي يدرب على العلاقات الاجتماعية منذ طفولته في دور الحضانة مثلا ، يكون أقدر علي تكوين صلات اجتماعية مع زملائه في المرحلة الابتدائية أفضل من زميله الذي لم يمر بمرحلة الحضانة .

النمو الانفعالي :

ذكرنا أن انفعالات الطفل في سن المهد تمتاز بالقوة ويصل نشاط الطفل الانفعالي إلي أقصاه في نهاية السنة الثالثة وتكون خبراته الانفعالية علي درجة كبيرة من الحيوية والقوة ، كما أنه سرعان ما ينتقل من حالة انفعالية معينة إلي حالة انفعالية أخرى مضادة لها فمن البكاء إلي الضحك مثلا

بيد أن حدة الانفعالات تأخذ في الزوال شيئا فشيئا وتتجمع هذه الانفعالات حول موضوع معين غالبا ما يكون شخصا ما وبذلك يسرع في تكوين ما نسميه بالعاطفة ، وأول عاطفة يكونها الطفل تكون عادة عاطفة حب الآم ، أو من يقوم مقامها ، ووجود الآم يساعد علي تكوين عادة انفعالية ثابتة مما يساعد علي إتمام عملية الثبوت الانفعالي عند الطفل فتبعده عن القلق والخوف وأسباب الاضطراب الانفعالي .

وعندما يذهب الطفل إلي الحضانة يلجأ عادة إلي الكبار لحمايته والإشراف عليه وفي منتصف الرابعة تقريبا يبدأ ميلة نحو غيره من

الأطفال في الظهور فيلعب وسط الأطفال بمعنى أنه يشترك بلعبته مع غيره علي شرط أن يكون لكل طفل لعبته الخاصة ، أما اشتراك الأطفال في لعبة واحدة فيظهر بعد ذلك لأن جماعات الأطفال مهددة بالتفكك سريعا ولأتفه الأسباب فكأن الأطفال في هذه المرحلة محتاجون إلي مرشد عطوف وقائد يلقي عليهم دروس التعاون والعمل معا ، وعندما يبلغ الخامسة يشرع في اكتساب نوع من الاستقرار في حياته الانفعالية، ويرجع ذلك إلي ما يسود علاقته بأمه من أمان واستقرار انفعالي .

وقد ذكرنا أن انفعالات الطفل تكون في أول الأمر نوعا من التهيج العام ، ثم تأخذ بعد ذلك في التميز والتنوع .

النمو العقلي : نستطيع أن نستدل علي مستوى النمو العقلي عند الطفل في السنوات الأولي من طفولته المبكرة من قدراته علي التمييز بين المثيرات الحسية المختلفة وطرق الاستجابة لها أي أننا نتوقع للطفل الذي ينمو عنده التمييز الحسي بسرعة أكبر أن يكون أشد ذكاء في مستقل أيامه من ذلك الذي تنمو عنده هذه القدرة ببطء ، أي أن النمو العقلي في هذه السنوات يعتبر امتدادا للنمو العقلي المرتبط بالحواس عند الطفل في سن المهد ، وبالنسبة لطفل ما قبل المدرسة الابتدائية فإن نموه الجسمي يؤهله للإتيان بالحركات الكبيرة من قفز وجرى ، أما الحركات الدقيقة كالأشغال اليدوية والكتابة فلا يسهل عليه السيطرة عليها في هذه الآونة .

علي أن الحياة العقلية في هذه المرحلة ليست حسا وحركة فحسب بل هناك عمليات عقلية تعمل في نطاق محدود وتعني عناية خاصة بمشاعره وخيالاته ، وهذا هو السبب في أن لعب الأطفال في هذه السن

يتركز حول اللعب الايهامي كما يفسر لنا إقبال الطفل في هذه المرحلة علي القصص الخيالية ، وإن كان ذلك لا يعني أن تتمادي في هذا الاتجاه بل يحب أن تشتق بعض عناصر القصص من الحياة الواقعية للأطفال .

ويزداد انتباه الطفل مع تقدم نموه . والانتباه من العمليات العقلية التي تساعد الطفل علي أن يواصل الاهتمام بعمل ما ، ومن الملاحظ أن طفل الثانية يستطيع أن يواصل اهتمامه بعمل ما لمدة ست أو سبع دقائق في حين يواصل طفل الخامسة اهتمامه بلعبه ونشاطه ضعف هذه الفترة.

أما عن إدراك الطفل للأشياء فإنه يكتسب فكرة المكان والشكل والحجم عن طريق خبرته بالأشياء المادية المحسوسة ، أما إدراك الزمان فإنه ينمو ببطء فمعظم الأطفال لا يستخدمون كلمة أمس واليوم وباكر استخداما صحيحا قبل سن الخامسة ، أما إدراك الأطفال للأفكار المجردة فمن الأمور الصعبة عليه ، ففكرة الله وفكرة الموت من الأفكار التي يصعب علي الطفل إدراكها في هذه السن ، ومع ذلك فلكل عمر مفاهيمه المجردة ، والقدرة علي التجريد لها درجاتها ولها مراتبها .

أما من حيث الفروق في القدرة العقلية بين أطفال ما قبل المدرسة الابتدائية فمن الممكن أن نميز بين ضعاف العقول وبين الموهوبين والأذكياء ، ويفيد هذا التمييز في توجيه الأطفال ضعاف العقول إلي مؤسسات لضعاف العقول وتوجيه المزيد من الرعاية النفسية لهم ، أما الأطفال الأذكياء والموهوبون فيحتاجون إلي رعاية خاصة تكفل لهم التكيف الاجتماعي والتفوق العلمي .

النمو اللغوي : وتعتبر اللغة جزءا من النمو الاجتماعي والانفعالي والعقلي للفرد وهي ظاهرة تميز الإنسان عن غيره من الكائنات الأخرى، كما أنها أداة التعبير عن الأفكار والرغبات والميول ، وهي من ناحية أخرى أسلوب للتفاهم والتخاطب بين الناس والتأثير في الأفراد والجماعات .

ويختلف المحصول اللغوي من حيث كمه ونوعه من طفل إلي آخر، كما تنمو لغة الطفل نمو سريعا بين سن الثانية والرابعة ، ويبدأ الطفل باستخدام كلمات مفردة (أسماء وأفعال وصفات) باعتبارها كلمات جملية ثم ينتقل بعد ذلك إلي استخدام الجملة الكاملة ، ففي الفترة ما بين سنة وسنة ونصف يستخدم الكلمة فيقول عروسة مثلا معبرا بذلك عن أنه يريد هذه اللعبة ، ثم ينتقل بعد ذلك إلي استخدام الجمل القصيرة المكونة من كلمتين أو ثلاث إلي خمس كلمات، ومع تقدم عمر الطفل يزداد فهمه للكلمات والجمل المستخدمة ويستطيع طفل الرابعة أن يتحدث مع غيره في عبارات سهلة واضحة مفهومة .

ويؤثر في النمو اللغوي للطفل عدة عوامل منها :

الذكاء وهو مرتبط بالقدرة اللغوية فالأطفال المتفوقون لغوياً يكونون ذوى قدرة عقلية عالية ، أما ضعاف العقول فيبدون الكلام عادة متأخرين عن العاديين ، والعاديون يتأخرون في العادة عن الأذكياء .

ـ المستوى الاجتماعي والاقتصادي فالأطفال الذين تتاح لهم فرص اللعب مع غيرهم من الأطفال ، أو الذين يجدون الفرصة للتحدث مع الكبار ينمو لديهم المحصول اللغوي نموا سريعا .

ـ العمر الزمني للطفل فمن الطبيعي أن يتقدم الطفل في تحصيله اللغوي وفي قدرته علي التحكم في لغته كلما تقدم به العمر .

ـ الصحة العامة ولها أثرها كعامل في النمو اللغوي للطفل : فالطفل السليم من الأمراض يكون أكثر نشاطا والماما بما يدور حوله مما يزيد في محصوله اللغوي

أسئلة الأطفال في هذه المرحلة :

وأطفال هذه المرحلة كثيرو الأسئلة وقد تؤدي ملاحظة عادية للطفل إلي عديد من الأسئلة التي يضيق بها الآباء ودهشتهم فقد يسأل الطفل مثلا أسئلة مثل : " مين اللي خلق الدنيا دي " ـ " هو فين ربنا ؟ ويحسن ألا يدخل الآباء والمدرسون في إجابات طويلة معقدة تحير عقول الأطفال وتربكهم ، كما يحسن أن تكون هناك إجابة ما ، فالطفل يريد الأخذ والعطاء أكثر مما يريد المعنى المنطقي الدقيق للإجابة .

ويدفع الطفل إلي كثرة الأسئلة عدة أسباب منها : النشاط العقلي للطفل، حبه للفضول والاستطلاع وحاجته إلي الطمأنينة أو معرفة الفروق بين الجنسين ، وقد تكون الأسئلة لجذب انتباه الكبار إليه وأحيانا تكون لمجرد الشعور بالاجتماع بالغير والاستمتاع بذلك فيسأل سؤالا وهو يعلم الإجابة عنه أو لا ينشد له الإجابة الكاملة .